

مفاهيم القرآن

(47) سبحانه مباشرة، وبلا تسبب سبب وتهيئة مقدمة و ليس في صحيفة الكون إلاّ علة واحدة تقوم بجميع الأفعال، وتنوب مناب العلل الطبيعية في كافة الموارد. ب: إنّ صحيفة الكون قائمة بوجوده سبحانه ومنتهية إليه، غير أنّه سبحانه خلق الأشياء من خلال نظام الأسباب والمسببات، والعلل والمعلولات، على وجه يكون للسبب والعلة دور في تحقق المسبب والمعلول وإن كان ذلك بإذنه سبحانه. وعلى ضوء ذلك فللعالم خالق واحد أصيل، وعلاّة واحدة قائمة بنفسها، لكن تتوسط بينها وبين الظواهر الطبيعية والفلكية علل وأسباب موّثرة في معاليلها، قائمة بذاته سبحانه، موّثرة بأمره، والجميع من سنن الله تبارك وتعالى. أمّا التفسير الآوّل: فهو خيرة الأشاعرة الذين ينكرون العلل والأسباب الطبيعيّة ولا يعترفون إلاّ بعلة واحدة، وهي قائمة مقام عامة العلل المتصورة للطوائف الأخرى، ولكن هذا التفسير - وإن كان لاّجل الغلو في التوحيد - يخالف نصوص القرآن الكريم، فإنّ الوحي الإلهي يدعن بعلة طبيعية موّثرة في معاليلها، وإليك بعض ما يدل على ذلك الآصل: 1. (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتُ وَتَرَى الْأَرْضَ وَرْبُوًّا، ثُمَّ إِنْبَاتُهَا كُلَّ زَوْجٍ بَهِيجٍ). (1) فالآية صريحة في تأثير الماء في اهتزاز الأرض وربوّها، يقول سبحانه: (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت) فلاهتزاز والرباء والانبات أثر الماء ولكن بإذنه سبحانه. (1)الحج:5.